

أدب سُنِّي الإسلامي المكتوب بالحرف العربي

قصيدة: أختي نانا كاكّا للشيخ ألفا محمّن بن المبارك 1874-1959

¹ بوفيسير عبد الرحمن عبد الله سيسي بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتبكتو مالي.acissab@gmail.com² أ. سيدي إمام ميغا بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتبكتو ماليsidiallimam@gmail.com

Résumé

Les bibliothèques aux manuscrits anciens du Mali, notamment celui de l'Institut Ahmed Baba de Tombouctou, renferment une partie importante du patrimoine littéraire écrit en langues nationales, comme en témoignent les catalogues d'index qui nous dévoilent les titres de ces ouvrages issus de la production littéraire nationale. Le patrimoine littéraire songay exprime la pensée, le savoir et le savoir-être de la société. Il reflète les phénomènes sociaux et donne une idée sur l'environnement sociale et culturel. Les pionniers de ce genre littéraire sont issus en général des écoles coraniques et les Madjalis d'érudits.

Alpha Mahamane fut un érudit, un poète et un réformateur social. Le texte est merveilleux et riche de son contenu social et religieux. Il reflète l'étendue de la diffusion de la langue arabe et de la culture islamique dans la société. Ainsi, a-t-il été utilisé pour exprimer les pensées et émotions.

Mots-clés : littérature- Songoy-Nana Kaaka- poésie de compassion

ملخص

تحتوي مكتبات المخطوطات القديمة في مالي، ولا سيما مكتبة معهد أحمد بابا في تبكتو على جزء مهم من التراث الأدبي المكتوب باللغات الوطنية (عجمي)، كما يتضح من الفهرسة التي تكشف عن عناوين هذه الأعمال من الإنتاج الأدبي الوطني. يعبر التراث الأدبي سُنّي عن فكر المجتمع ومعرفته ورفاهه. إنه يعكس الظواهر الاجتماعية ويعطي فكرة عن البيئة الاجتماعية والثقافية. يأتي رواد هذا النوع الأدبي عموماً من المدارس القرآنية والمجالس العلماء. كان ألفا محمّن باحثاً وشاعراً ومصلحاً اجتماعياً. وهذا النص رائع وغني في محتواه الاجتماعي والديني. وهو يعكس مدى انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية في المجتمع. وبالتالي، فقد تم استخدامه للتعبير عن الأفكار والعواطف في رثاء أخته نانا بلغة سُنّي.

كلمات المفتاح: أدب – سُنّي – نان – تبكت – رثاء

مقدمة

تعد المخطوطات العربية في مالي ذاكرة تاريخية لإسلام غرب أفريقيا، وتحتوي مكتبة معهد أحمد بابا بتبكت على عدد لا يستهان به في شتى العلوم والفنون بما فيها التراث الأدبي باللغات المحلية المكتوب بالحرف العربي؛ وذلك واضح عبر الفهارس التي تكشف لنا عناوين هذه المؤلفات من النتاج الأدبي المحلي. إن النتاج الأدبي بلغة سُنّي يعبر عن مشاعر المجتمع وأفكاره وخواتمه ويعكس مظاهر المجتمع ويمثل البيئة الزمانية والمكانية. ورواد هذا الأدب تلقى معظمهم العلوم من الكتاتيب القرآنية والمجالس العلمية.

مشكلة الدراسة: يوجد إنتاج أدبي بلغة سقّي مكتوب بالحرف العربي لم يحظ بالدراسة والتحليل. ونعتقد أن دراسته تقدم لنا صورة صادقة عن المجتمع وعلاقته بالثقافة العربية الإسلامية؛ لأنه بمثابة وثيقة تاريخية اجتماعية. أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق أهداف منها:

- إعادة كتابة النصوص وضبطها لتسهيل قراءتها برموز سقّي المعتمدة
- ترجمتها وتحليلها.
- استخراج مظاهر المجتمع والبيئة منها

أسئلة البحث:

- علام اعتمد بناء هذه النصوص ؟
- ما علاقة هذه النصوص بالمجتمع المحلي ؟
- ما قيمتها الفنية ؟

منهج الدراسة: يستعمل الباحثان المنهج التاريخي والوثائقي التحليلين في إنجاز هذه الدراسة

حياة الشيخ الاجتماعية والعلمية:

هو ألفا محمّن بن المبارك بن المصطفى بن ألفا صالح (سالم) بن بودة بن عبد الرحمن بن التركي الاسطنبولي¹. ولد حوالي عام 1874 في مدينة تنبكت، وتوفي عام 1958 في دائرة ديري (إقليم تنبكت). والده المبارك بن المصطفى (طقي)، وأمه زينب عمر. نشأ في هذه المدينة وترعرع فيها حيث التحق بالكتاب (المحضرة القرآنية) لتعلم أساسيات اللغة العربية والتعليم الإسلامي، ومنه توجه إلى جئى لتلقي الدروس من أمهات الكتب. عاد إلى تنبكت بعد إقامته بجئى، والتحق بمجالس العلماء وخصوصا مجلس سيدي عال بن عمر الأرواني الذي أسس أول زاوية تجانية في مدينة تنبكت. وتمّ تعيينه من قبل الشيخ مقدما في الطريقة التجانية، وأذن له بنشر الورد التجاني. حضر ألفا محمّن مجلس ألفا نوح في قرية نامنتيا Namantia (دائرة نيافئكي - إقليم تنبكتو)، وقرأ عليه كتاب تحفة الحكام لابن عاصم. ومن جملة العلوم التي تلقاها من شيوخه: القرآن الكريم، والحديث، والمديح النبوي، والفقه.

لقد كرّس معظم حياته في نظم قصائد بلغة سغي وخاصة في المديح النبوي والأخلاق. وكان واعظا رحّالا في دائرتي ديري ونيافئكي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

عين قاضيا في قرية انغرك (دائرة نيافئكي) بناء على طلب السكان، يحكم بين الناس بشريعة الله وسنة رسوله. انتقل ألفا محمّن إلى منطقة ديري بعد إقامة عدة سنوات في هذه المنطقة المسماة جنبلا في دائرة نيافئكي حيث سكن في حارة صيادي السمك (Sorko Daga)، واستمر في إرشاد الناس وتعليمهم رسالة الإسلام.

¹ - ألفا محمد بن مبارك بن طفي السباق إلى ترقيص صتفي بالحرف العربي في تنبكتو، إسماعيل زنگو برزي (البروفيسور) وآخرون، تنبكتو، مجلة سنكوري، العدد العاشر يناير - يونيو 2016، ص. 29.

وأخيرا استقر في ديري فعين إماما للمسجد الجامع في بها من عام 1954، حتى وفاته عام 1958.

حالاته الاجتماعية ومناصبه:

تزوج في حياته ست زوجات ووزق خمسة أطفال: ثلاثة إناث وذكورين. عمل إمامًا وخطيبًا وقاضيًا ومستشارًا، وخلف تراثا أدبيا عظيما بلغة سُغَيّ تستحق الدراسة والنشر، ولقد لقب نفسه شاعر النبي في إحدى قصائده²:

ابن المبارك بن طفا

شاعر نبي المصطفى

مدح النبي محمدا

تُنْتُنُ مَا سَابُ مَا دَمُ صَفَا

النص المختار للدراسة:

قصيدة في رثاء أخته نانا كاكّا بلغة سُغَيّ³ / sonjay

المناسبة:

مرثية نظمها أَلْفَا مَحْمَنْ وهو في غربة طلب العلم؛ وإذا الموت يختار أعز الناس لديه أخته الشقيقة نانا كاكّا في تنبكت، فبكى الأديب أخته مما جادت به قريحته، ويتوسل بشيوخه فيها ويتضرع إلى الغفور الرحيم أن يرحم أخته نانا كاكّا ويحفظها من عذاب القبر ويدخلها فسيح جنته. يصف حالته النفسية عندما وصله خبر الوفاة وهو في الغربة يومئذ. ويعدد محاسنها ويذكر أخلاقها الكريمة من صلة الرحم وحنان وإحسان، فيدعو ربه أن يرزقه مزيدا من العمر ليستمر في الدعاء لها في الحل والترحال ليلا ونهارا⁴.

نص المخطوط:

من الأفضل عرض أبجدية س سُغَيّ / Sonjay ومقابلها في الحرف العربي حسب نظام أكاديمية اللغات الإفريقية، قبل إعادة الكتابة بالطريقة التالية:

N°	Alphabet Sonjay	Caractère arabe	N°	Alphabet Sonjay	Caractère arabe
----	--------------------	--------------------	----	--------------------	--------------------

² - من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، محمود محمد ددب التنبكتي الأرواني. الرباط: منشورات منظمة الإيسيسكو - 1432هـ/2011م، ص.

³ - قصيدة أي وَمَي كَاكّا بلغة سُغَيّ، أَلْفَا مَحْمَنْ بن مُبَارَك بن طَفَى، تنبكتو: معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، ناسخها في تنبكتو: سيدي محمد بن السالك بن سيدي بن ناجين محمد تمتب بن سيدي الوافي بن الطالب بن البشير بن محمد العدوي القرشي السوقي، رقم المخطوط: 9665.

⁴ - للمزيد عن حياة الشيخ واعماله الأدبية أنظر: دراسة قصائد بلغة سُغَيّ مكتوبة بالحرف العربي، إنتاج أَلْفَا مَحْمَنْ بن مبارك "أتمودجا". إعداد: سيدي الإمام ميغا، بحث مقدم لنيل شهادة الماستير، باماكو، كلية الآداب واللغات وعلوم الألسنة، قسم اللغة العربية.

1	A	أ	15	n	ن
2	B	ب	16	N	غ
3	C	ج	17	O	
4	D	د	18	P	
5	E		19	R	ر
6	F	ف	20	S	س
7	G	گ	21	⁵ Š	ش
8	H	ه	22	T	ت
9	I	إ	23	U	أ
10	J	ج	24	W	و
11	K	ك	25	Y	ي
12	L	ل	26	Z	ز
13	M	م	27	Ž	
14	N	ن			

علما أن أبجدية سُنِّيَّ لا تحوي أحرف القاف، والعين، والحاء، والثاء، والهاء، والذال؛ فالقاف تناسبه K،
والعين A، والحاء H، والثاء S، والهاء H، والذال Z

1	كَدَرَنِي رُقَادِي. لِأُحْتِ الْوَدَادِي	سَهَرَنِي سُهَادِي. بَعْدَ أَيُّوْمِي كَاكَ
2	الْمَلِكُ الْقَدِيرَا. الْجَبَارُ الْخَبِيرَا	أَوَّلِي سُبْرَا. بَعْدَ أَيُّوْمِي كَاكَ
3	لِثْنَيْنِ صَبَاحٍ. غَادَرْتَنِي وَسَاحٍ	الْمَلِكُ الْفَلَاح. هِنَّ أَيُّوْمِي كَاكَ
4	أَحَدَ عَشَرَ شَوَالٍ. كُنَّا سِنْبَ سَاحِلٍ	سَيِّدِ مُحَمَّدٍ إِدَامَر. قَابَ أَيُّوْمِي كَاكَ
5	سُبْرَدَ اسِي أَمَا نَنْدِ. الْكَبْرِيُّ كُنْدَ كُنْدِي	دُنْتُنْ كُرْ مَا مُزْنِدِ. أَخْتِي نَانَ كَاكَ
6	شَيْخُنَا سَيِّدِ عَالٍ. أَيَّ دَمٍ نَنْدَ الْوَسِيلَا	الْآخِرَ كُنْدَ بُورِ. مَا قَابَ أَيُّوْمِي كَاكَ
7	شَيْخُنَا فَدَاهِي. الشَّرِيفُ الْمَلَا حِي	قَابِي أَنْدَ النَّجَاحِي. أَيُّوْمِي حِي كَاكَ
8	كُفِّي هِنَّتِي بَيْنَتِي. الْجَوَادُ جَرَّتِي	صَبْرَتِي مُيْنَتِي. هِنَّ أَيُّوْمِي كَاكَ
9	مُرْدَاكَ الْعَذَابُ. الْكَبْرِيُّ كُنْدَ لَيْبُ	نُونِ بُبُوِي أَنْدَ تَعَبِ. هِنَّ أَيُّوْمِي كَاكَ
10	يُلْوَانْدَاكَ الْقُبُورَا. كَجِ مَدَّ الْبَصِيرَا	فَتِيلَا بِي كُنْدَ نُورِ. هِنَّ أَيُّوْمِي كَاكَ

11	حَزُنْ جَنْدِي يَ جِرْب. أَي بِنِي كُرْ كُو كُوب	يَا عَفَّارُ تُوبِي. هِنَّ أَيُومِي كَاكا
12	حِجْ فُورَ ائْتِ هَنْدِرْ. جَاوَدِرَ ائْتِ هَنْبُرْ	جَكَا كُي بَرْدُ فُذُرْ. مَوْتِكِ نَانَ كَاكا
13	جَاوَدِرَ ائْتِ هَنْي. أَي بِيَكِ ائْسِ كَنْي	الْكِرِيمُ بَر ما بَانِي. أُخْتِي نَانَ كَاكا
14	تُنْبِتْ كُي تَرِيْدْ. وَبِي بِيْرُ بَدْكا	وَاجِبْ دَايِ كُي دَا. كَا جُورَايُومِي كَاكا
15	وَبِيْرَا إِسْبَنْتِي. أَكْ هِنِّي أَكْ بِيْنْتِي	فَقْدَوُكُي فِسَنْتِي. أُخْتِي نَانَ كَاكا
16	أَيِ هَنْي ائْتِ فَاج. أَيِ مُنْدِي كُرْ كُو حِيَج	نِجْ وَيُومِي بَاج. أُخْتِي نَانَ كَاكا
17	أَيِ هَنْي ائْتِ شِعْرُو. أَيِ مُنْدِي كَا دُورُو	بِي جِرْجِرْ كَا بُورُو. أُخْتِي نَانَ كَاكا
18	أَيِ وَكْلِي يَرْكِي. كَا نِجِي مُومِنِي كُكْلِي	كَابْ مَا جِيْنِي وَسَكِي. بَعْدَ أَيُومِي كَاكا
19	لُومُرْ ائْتِ بِي كَار. وَلَانْدِي كُو يَارَا	لَيْلَا وَالنَّهَارَ. بَعْدَ أَيُومِي كَاكا
20	هَزْمِي جَ عَيِ نَدُوبِي. مُورِي دَا كَا تُوبِي	الْكِرِيمُ بَر ما بَانِي. أُخْتِي نَانَ كَاكا
21	هِي وَيُومُو كُو بَانِي. أَبْدَا كَا أَنَا تُورِي	سُبْسَبْ كُرْ ائْتِ بَرِي. أُخْتِي نَانَ كَاكا
22	سُبْسَبْ كُرْ ائْتِ كَانِي. هِي وَيُومُو كُو هِنِّي	الْآخِرَ دَو ما بَانِي. أُخْتِي نَانَ كَاكا
23	دَارِي كُو هِيَكِ دَارْدَارْ. سَاكُرْ إِكُو بَرْدِي	تَحَا بِيْرُ كُو بَرْدِي. أُخْتِي نَانَ كَاكا
24	وَلَفَرْدُوسِ سُورْ. جَوَهَرْ ائْتِ كُو دُورُو	يُوكُنْ كُرْ كَا دُورُو. أُخْتِي نَانَ كَاكا
25	سَاكُرْ دَا أَكُو هَان. وَلَيْسَكِي أَكُو هَان	سُبْسَبْ كُرْ مَسَ هَان. أُخْتِي نَانَ كَاكا
26	الْجَنِّ مَحِي ائْتِ كَانِي. تَسْنِيمُ مِي كَا لِيْنْدُو	دُونْدَاكْ كِنْدُو. أُخْتِي نَانَ كَاكا
27	تُون جَنَاتِ عَدْنِ. هُو بَانُ مَفَارِنِي	مُورْ دَاكْ تَابِ. أُخْتِي نَانَ كَاكا
28	الْكِرِيمُ الْوَهَابُ. مُومْ كَارُو مَا جَابِي	مَا مُورُو ائْتِ الْعَذَابُ. مَا هِنِّي أَيُومِي كَاكا
29	يَا رَبِّ تَعَالَى. صَلِّ عَلَى الْجَلِيلَا	وَالْأَلِ الْجَمِيلَا. أَيِ وَيُومِي جِي نَانَ كَاكا

النص المخطوط بالأبجدية اللاتينية:

1	Kadaranii rukaadii. Li uktii lwidaadi*	*Saharanii suhaadii.baada ay waymee Kaakaa
2	Almaliku lkadiiraa .aljabbaru lkabiiraa*	*awillii suburraa. baada ay waymee Kaakaa
3	Lisayni sabahii .gaadaratnii wasaahii*	*almaliki lfalaahi. hinn ay waymee Kaakaa
4	Ihdaa ašara Šawwaal .kuna asinba saahal*	* siidi Mahmuud Idaamar. faaba ay waymee Kaakaa
5	Subur n'daasee amaanandi. Alkaburyo gonda gondii*	*donton kur ma morndi ukhtii Naana Kaaka

6	Ŝeekhunaa siidaali. ay dam ni nda alwasiilaa*	*alaakhara gonad boori Ma faaba ay waymee Kaakaa
7	Ŝeekunaa Fadaahii. Aŝŝariifu almalaahii*	* faab'ay nda njaahii. ay waymee ci Kaakaa
8	Koyhinnintee beyntee. Aljawwaadu jerntee*	*Suburtee Muŋantee. hinn ay waymee Kaakaa
9	Mordaaga lazaabu. Alkaburyo gonad laybu*	*nooni bobooyo nda taabi. hinne ay waymee Kaakaa
10	Yulwanda a ga lkubuura. Ka ci madda albasiiraa*	*fitilaayee gonad nuura. hinne ay waymee Kaakaa
11	Huzunja nda yeejirbi. Ay bineekur go kuubi*	* yaa Gaffaaru tuubi hinn ay waymee Kaakaa
12	Ciji foora ay tahandir. Jaa wodira ay ta hanbur*	* jaka Koy berdi koddor mawtiki Naana Kaakaa
13	Jaawodira ayta hemnii Ay bay ka ay si gunanii*	*Alkarii muber ma baanii. Uktii Naana Kaakaa
14	Tunbutu koy tar ay ga. Waymee boyro bungaa*	*waajibidaa yee koydaa.Kaajuura ay waymee Kaakaa*
15	Waymeraa isubantee. Ago hinni ago bayntee*	*Fafa dawkoy fisantee. Uktii NaanaKaakaa
16	Ay hemni nda faaji. Ay munde kur go jiiiji*	*Ni ci woymoyo baaji. Uktii Naana Kaakaa
17	Ay hemni nda Ŝiiru. Ay munde ga dooruu*	*yee jerjer ka booruu. Uktii Naana Kaakaa
18	Ay wakkal ni Yerkoy. Ka ni ci muuminio kulakoy*	*gaa buu ma ceenee wasakoy. baada ay waymee Kaakaa
19	Loomur nda yee gaara. Walanday go yaara*	*laylan wan nahaara. baada ay waymee Kaakaa
20	Harmee jaŋay na duunii. Moray dangaa toonii*	*Alkariimu ber ma baanii. Ukhtii Naana Kaakaa
21	Hey waymoo go ba'ay. Abadan ga a na toorray*	*suba suba kur nda beeray. Ukhtii Naana Kaakaa
22	Suba suba kur nda kaanay. Hey woymoo go hinni*	*alaakhara daw ma baanii. Ukhtii Naana Kaakaa
23	Daariyo go hoy ka daardaa. Saakur I go bardii*	*ŋaa boyro go bardii. Ukhtii Naana Kaakaa
24	Wala Firdawsi-sooro. Jawhar nda ngudooruu*	*yuu ga ni kur ga dooruu. Ukhtii Naana Kaakaa
25	Saakur da ago haan. Wala bisakoy a go haan*	*suba suba kur masa a haan. ukhtiiNaanaKaakaa

26	Aljanna ma ci ga kanidoo. Tasniim-meegaa indoo*	*doonandi a ga kanidoo. Ukhtii Naana Kaakaa
27	Noon jannati-adnin. Hew baano ma faarnii*	*moor daaga taabi. Ukhtii Naana Kaakaa
28	Alkariimu alwahhaabu. Moom gaaroo ma jaabii*	*ma moorund a ga lazaabu. Ma hinn ay waymee Kaakaa
29	Yaa Rabbi-taalaa. Salli ala alJaliilaa*	*wa la aliljamiilaa. Ay waymee ci Naana Kaakaa

الأفكار الرئيسة :

تناول الشاعر أفكارا رئيسة، وأهمها ما يأتي:

- التعبير عن حالته النفسية إثر تلقيه نعي أخته نان كاكا.
- الابتهاال إلى الله سبحانه والتوسل بالأولياء والشيخوخ لطلب الشفاعة بالمغفرة لها.
- ذكر محاسنها وفضائلها والدعاء لها بالجنة والراحة الأبدية.

المعنى العام:

من البيت 1-4 يعبر الأديب في القصيدة عن حالته النفسية إثر وفاة أخته الكريمة؛ إذ اعتراه الهموم والأحزان، وحرمة متعة النوم؛ فأورثه اضطرابا في منامه ووجعا قلبيا. ويسأل الله الملك أن يلهمه الصبر بعد فراق أخته نانا كاكا التي وافتها المنية صباح الاثنين أحد عشر من شوال، وشيعوها إلى المقبرة الجديدة [آنذاك] بالساحل أي شمال مدينة تنبكت حيث دفن الشيخ سيدي محمود.

من الشطر الثاني للبيت الرابع إلى السابع يتوسل بالشيخوخ [الأولياء في اعتقاد معظم أهل تنبكت] ينادي سيدي محمود قائلا: اغث أختي واشفع لها؛ لتأمن في حيات القبر، ويتعد عنها كل عقرب.

شيخنا سيد عال جعلتك وسيلة في الآخرة حيث الأرض الطيبة أن تعين أختي نانا كاكا، ويستنجد بالشيخ فداهي الشريف المليح أن يطلب النجاة لأخت.

من البيت الثاني إلى السابع: يسرد قصة وفاة أخته، دعيا ربه القدير الخبير ومتوسلا بمجموعة من العلماء والصالحين في طلب الإغاثة من فتنة القبر وعذاب الآخرة، ومنهم القاضي سيدي محمود بن عمر آل أقيت⁶، والشيخ سيدي عال بن عمر الأرواني⁷، والشريف القداهي⁸.

من البيت الثامن إلى العاشر: يتضرع إلى الله بصفاته قائلا: الله الحنان الكريم الجواد العظيم الصبور ارحم أختي وجببها فتنة القبر وعذاب الآخرة، وافسح قبرها.

من البيت الحادي عشر إلى الرابع عشر: يعبر عن حالته النفسية وما يعيشه من أوقات حرجة حافلة بالأسى والكم، وقد بدأت هذه الحالة تراوده منذ تلك الليلة التي رأى في المنام وفاة أخته. يخاطب أخته قائلا: بأي من تلك الليلة بدأت أبكيك وأحزن على فراقك، وأيقنت أن المولى العظيم قدّر رحيلك من هذه الدنيا. فيدعو الغفار التواب أن يرحم أخته وأن يتولى أمرها. ويذكر أنه رغب عن السفر إلى تنبكت بعد وفاة الأخت الجليلة ولكنه مضطر إلى الذهاب لزيارة قبرها والدعاء لها.

من البيت الخامس عشر إلى الثامن والعشرين: يعود ليعبر عن مكانة أخته لديه معددا الخصال التي أهلتها لتلك المنزل. إنها من خيار الأخوات؛ حنون، رفيقة، واصلة الرحم، أنفاس الأخوات. فيخاطبها: بأنه يبكيها وحشة وعيناه تدمعان؛ لأنك تاج الأخوات وخيرتهن، وحق لك أن أبكيك شعرا ودموعي تتدفق وأصرخ خوار الثور، فوضت أمرك إلى الله سبحانه وتعالى وهو حسب المؤمنين؛ فليكن حسبي بعد وفاة أختي. ويدعو ربه أن يمدّه بالعمر كي يستمر في الدعاء لأخته ليلا ونهارا في الحل والترحال. يبدي أسفه لطول غيابه عن أخته، ويخاطبها بأنها لم تمتحن بعدم الرزق بأخ يهتم بأمرها ولكن طول المسافة هي التي حالت بينهما. وليتوّل الكريم العظيم أمرك يا أختي.

ويعيد تعداد محاسنها تجاهه من محبة، وإحسان، وتقدير، وحنان، وتفقد أحوال، حتى المارين تسألهم عن خبره. إنها كانت تعني به وتقدّم له خدمات من مأكّل ومشرب ومسكن.

وختامه مسك، من البيت السادس والعشرين إلى التاسع والعشرين: اختتم ألفا محمّن المرثية بالدعاء لأخته أن يطيب الله سبحانه وتعالى ثراها، ويرزقها جنات عدن ويسقيها من عين تسنيم؛ إذ ينتشر النسيم وتحف بالراحة والطمأنينة.

⁶ - ابن عمر بن علي الصنهاجي المسوفي قاضي تنبكت، وعالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقهها وإمامها، تولى القضاء عام أربعة وتسعمائة هجرية. وحج في عام خمسة عشر وتسعمائة فلقى السادات إبراهيم المقدسي والشيخ زكريا والشيخ القلقشندي واللقانيين. توفي سنة خمس وخمسين وتسعمائة. للمزيد راجع: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة. منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط. 1989م، ص. 607.

⁷ - القاضي الفقيه سيدي عالي بن سيدي عمر الأرواني التجاني توفي عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية. للمزيد راجع: محمد محمود ولد الشيخ الأرواني. كتاب الترجمان، تنبكت، معهد أحمد بابا، مخطوط رقم 762، ص. 70.

⁸ - لم نقف على ترجمته.

يا الله الوهاب الكريم استجب هذا الدعاء، وارحم أختي وجنّبها فتنة القبر وعذاب الآخرة. وأخيرا يختم بالصلاة على النبي المصطفى وآله الطيبين الطاهرين. ولعله يستودعهم أخته بقوله: ((نانا هي أختي)).

الدراسة التحليلية:

- الموضوع: الرثاء وهو غرض ذو صبغة إنسانية لما تحمله من شفقة ووُدِّ وحفاظ على العلاقة الاجتماعية بعد الرحيل إلى دار الآخرة .
- الألفاظ: استعمل الشاعر كلمات موحية تتناسب والغرض، انقطاع النوم، الصبر والتحمل، تدفق الدموع، (هِنَ) hine : ارحم، (فَابَ) faaba: أغث، سُبُرْدَ أَسِي subur n'di ase : شَقَّعَ لها و (بُورُ) boyro الخوار، وهذه الألفاظ توحى بمكانة هذه الأخت لدى أخيها، وعنايته بها حية وميتة.

المفارقة التاريخية: هذا النص يمثل مجتمع تنبكت، من الفكر العقدي كالتصوف والتوسل بالأولياء:

– أسماء: سيدي محمود، نانا كاكا، باجي، المقبرة

- اجتماعيات: مكانة الأخت لدى الأخ في مجتمع سُنِّي.
- دين: يدلّ النص على تدبّر المجتمع بالإسلام، والإيمان بالغيبات من عذاب القبر، والجنة والنار.
- ثقافة: النص يعكس الثقافة اللغوية والدينية لدى الشاعر، ومحتمل أنه تأثر بقصائد الرثاء العربية وخاصة الخنساء، ومع فارق عهد إذ صيغ نصه بصبغة إسلامية.

العاطفة:

إن النص ينبع من عاطفة صادقة تصدر من صميم نفس الشاعر؛ إذ كانت لديه صلة قوية بأخته الراحلة؛ إذ نسج معها علاقات التقدير والإحسان والتكامل، فكان يقدرها مما سبب شدة الحزن والحسرة على فراقها كما تعكسها الألفاظ والنبرات الإيقاعية، وبخاصة ختم كل بيت باسم اخته الذي ينتهي بحرف مد يناسب مد الصوت.

الأسلوب:

استعمل أساليب متنوعة: الأسلوب الخبري في التعبير عما يحس به في نفسه من آلام الشوق والحزن على أختها الراحلة:

كَدَرَنِي رُقَادِي. لِأُحْتِ الْوِدَادِي	سَهْرَنِي سُهادِي. بَعْدَ اِيَوْمِي كَاكا
Li uktii lwidaadi Kadaranii rukaadii.	Saharanii suhaadii baada ay waymee Kaakaa

ثم يتابع تفاصيل هذا الفراق في الزمان والمكان. فأسلوب الإنشاء الطلبي في التضرع إلى الله سبحانه وتعالى والتوسل بالصالحين راجيا الرحمة والخلاص لها من فتنة القبر وعذاب الآخرة:

لِثْنَيْنِ صَبَاح. غَادَرْتَنِي وَسَاح	المَلِكُ الفَلَّاح. هِنَّ اِيُومَي كَاكََا
Lisnayni sabahii .gaadaratnii wasaahii	almaliki Ifalaahi. hinn ay waymee Kaakaa

يستخدم الإنشاء غير الطلبي عندما يعبر عن المحبة والتقدير اللذين يتمتع بهما لدى أخته:

سُبْسُبْ كُرْ اَنَدَّ كَانَي. هِي وُيْمُو كُو هِي	الْآخَر دَو مَا بَانِي. أَخِي نَانَ كَاكََا
Suba suba kur nda kaanay. Hey woymoo go hinni	alaakhara daw ma baanii. Ukhtii Naana Kaakaa

وأما الجمل الاسمية والفعلية فنجدها متفاوتة في النص وتعطيه الحيوية وتمنعه من التوالي على وتيرة واحدة التي تورث الرتابة. فالاسمية تدل على الاستمرارية والدوام في الدعاء للأخت الراحلة والثبات على حالة الحزن والكمد لكون خبرها جملا فعلية:

كُي هِنْتِي بَيْنْتِي. الْجَوَادُ جَرْتِي	صُبْرْتِي مُيْنْتِي. هِنَّ اِيُومَي كَاكََا
Koyhinnintee beyntee. Aljawwaadu jerntee	Suburtee Mupantee. hinn ay waymee Kaakaa

والجمل الفعلية دالة على الاستمرارية والحدوث في التعبير عما يراود القلب من كدر ذكريات، بقرينة مقام الحزن ورتاء الأخت:

أَيُّ هَمْنِي اَنَدَّا شَعْرُو. أَيُّ مُنْدِي كَا دُورُو	إِي جِرْجِرْ كَا بُورُو. أَخِي نَانَ كَاكََا
Ay hemni nda šiiru. Ay munde ga dooruu	*yee jerjer ka booruu. Uktii Naana Kaakaa

المستوى النظمي:

مرثية كافية في رويتها وهي تناسب الموضوع؛ لأن صوت نان كاكا الطويل والمكرر في نهاية كل بيت يعكس البكاء المتقطع صعودا وهبوطا في الصدر، مع مدّ الصوت ورفع وتريده بعض الكلمات والجمل.

المحسنات البديعية:

وأما ما يلاحظ من الإيقاع الصوتي الداخلي وحسن التناسق بين التراكيب وتنغيم الألفاظ والعبارات:

➤ اللازمة الموسيقية:

يكرر الأديب اسم أخته (نان كاكا) في نهاية كل بيت، وبذلك يوقع تأثيرا في نفوس مستمعيه لما تحمل الكلمة من رسالة مهمة، وهي أن أخته عزيزة عليه ويألم لفقدانها. وبمنح اللازمة إيقاعا صوتيا خارجيا.

➤ الجناس:

ومن أمثلته:

كدرني رُقادي **Kadaranii rukaadii** ؛ سهري سُهادي **Saharanii suhaadii**.

الْكَبْرِي كُنْدَ كُنْدِ **Alkaburyo gonda gondii**

لُومُرْ اَنْدَيِّ يِ كَارَ وَلَاَنْدَيِّ كُو يَارَا **Loomur nda yee gaara. Walanday go yaara**
 هَرَمِي جَعِي نَادُونِي مُورِي دَا كَاثُونِي **Harmee janay na duunii. Moray dangaa toonii**
 جِجْ فُورَ اَيْتَ هَنْدِرَ جَاوَدِرَ اَيْتَ هَنْبُرَ **Ciji foora ay tahandir. Jaa wodira ay ta hanbur**
 الطباق:

استخدم الطباق عندما أراد من ربه تعالى أن يعمره كي يدعو لأخته ليلا ونهارا

المستوى البياني:

➤ استعارة مكنية:

يِ جَرَجِرْ كَا بُورُو **yee jerjer ka booruu** ؛
 أَيُّ مُنْدِي كُرْ كُو جِجْ : تتدفق دموعي

لغة الشاعر ومعجمه:

وظّف الشاعر لغته الأم سَعْيِي بلهجة تمبكت في نظم القصيدة بالفاظ قوية ذات كثافة تعبيرية:

أَيُّ هَمْنِي اَنْدَ فَاجِ / خُزْنُ جَنْدَيِّ يَجْرِبِ / أَيُّ بَنِي كُرْ كُو كُوبِ.

أَيُّ هَمْنِي اَنْدَا شِعْرُو / أَيُّ مُنْدِي كُرْ كَا دُورُو.

تارة يزاوج بين اللغتين سَعْيِي والعربية في تكوين الجملة: أَيُّ هَمْنِي اَنْدَا شِعْرُو، وتارة أخرى يستعير الكلمات العربية ويخضعها للغة الأم: أَيُّ دَمَ نِنْدَ الْوَسِيلَا. سُبَسْبُ كُرْ مَسَاهَان.

وأما معجمه فهو إسلامي في بيئة صوفية؛ إذ يكثر فيها الألفاظ والمصطلحات الإسلامية في كل بيت تقريبا والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه بذكر أسمائه الحسنى وصفاته الكاملة:

كُيْ هَنْتِي بَيْنْتِي الجَوَادُ جَرْتِي	صُبْرَتِي مُبَانْتِي هَنْ اَيُونِي كَاكا *Suburtee
Aljawwaadu Koyhinnintee beyntee. jerntee	Mupantee. hinn ay waymee Kaakaa

ويتوسّل بشيوخه وأولياء مدينته في طلب الرحمة لأخته:

شَيْخُنَا سَيِّدِ عَالِ أَيُّ دَمَ نِنْدَ الْوَسِيلَا	الْآخِرَ كُنْدَ بُورِ مَا فَابِ اَيُونِي كَاكا
Ŝeekhunaa siidaali. ay dam ni nda alwasiilaa*	alaakhara gonad boori Ma faaba ay waymee Kaakaa

الوحدة الموضوعية:

إن القصيدة تدور حول فكرة أساسية واحدة وهي موضوع الرثاء، ومنه تتولد الأفكار الثانوية في التعبير عن الحالة النفسية، وتفاصيل رحيل الأخت العزيزة، والدعاء لها بالرحمة والنجاة مروراً بذكر محاسنها واختتاماً بالصلاة على النبي المصطفى.

نُظمت هذه المراثية في مجتمع يربطه أواصر الأخوة والمحبة فكان أعضاؤها يتمثلون بإرشادات الدين الإسلامي الحنيف في الرحمة والإحسان والحنان. إنه يختلف اليوم عن هذا المجتمع المعاصر الذي احتوته العولمة وفرضت عليه قوانينها التي تسعى إلى العمل من أجل المصلحة الشخصية قبل التفكير في الإنسانية وحاجتها في التعاطف والتكاتف.

الوحدة العضوية:

تتمثل في تسلسل الأفكار منطقياً من البداية إلى النهاية، ويصعب تقديم أبيات أو تأخير أخرى، أو حذف بعضها من غير أن يحدث خلل في وفكري.

الدروس المستفادة

يستفاد من هذه القصيدة:

- مكانة التعامل الرفيع بين الأخت والأخ وتأثيراته النفسية؛ فينبغي -إذا- أن تنتهز فرصة القرابة الأخوية بتقديم الخدمات الجليلة التي توجب الذكرى والدعاء بعد الفراق.
- مكانة الأخت في مجتمع سقي إنها تعد كل شيء للأخ، بل المرأة التي تعكسها للمجتمع.
- مكانة اللغة العربية ودارسيها في المجتمع آنذاك؛ حيث يعفى من أداء كل الواجبات حتى يتفرغ للدراسة.
- نظام التعليم القائم على الرحلات، والغربة، والبعد عن الأسرة.
- تتبع كل هذه الرحلات التنوع الثقافي بين أبناء القبائل، وتقوية العلاقات بين الدارسين الذين هم قادة المستقبل. ومن ثم يلاحظ أن هناك تعارفاً كبيراً بين وجهاء وعلماء المنطقة على اختلاف المدن والقرى وله تأثيرها على استتباب الأمن والاستقرار بين أبناء القبائل المتعددة.

الخاتمة:

نخلص إلى أن الشيخ ألفا محمن بن مبارك خلف لنا نصاً شعرياً رائعاً، غنياً بمحتواه الاجتماعي والديني؛ إنه يعكس مدى انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية في المجتمع حتى استغلها السكان الأصليون للتعبير عن خواطهم. كما يمثل الأدب الإفريقي الإسلامي المكتوب بالحرف العربي، والمزدوج اللغة (سقّي / عربية). توصي الدراسة بالعناية الكبيرة بهذا النوع من الأدب الإفريقي؛ إذ لا تزال الدراسات قليلة حولها.

المصادر والمراجع

1. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة. منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط. 1989م.

2. ألفا محمد بن مبارك بن طفى السباق إلى ترفين صتفي بالحرف العربي في تمبكتو، إسماعيل زنگو برزي (البروفيسور) وآخرون، تنبكت، مجلة سنكوري، العدد العاشر يناير - يونيو 2016.

3. دراسة قصائد بلغة سُغَيّ مكتوبة بالحرف العربي، إنتاج أَلْفَا مُحَمَّدُ بن مبارك "أنموذجا". إعداد: سيدي الإمام ميغا، بحث مقدم لنيل شهادة الماستير، باماكو، كلية الآداب واللغات وعلوم الألسنة، قسم اللغة العربية.

4. قصيدة أَيْ وَئِي كَاكَا بلغة سُغَيّ، أَلْفَا مُحَمَّدُ بن مُبَارَكُ بن طَفَى، تمبكتو: معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية، ناسخها في تمبكتو: سيدي محمد بن السالك بن سيدي بن ناجمين محمد تمبتمب بن سيدي الوافي بن الطالب بن البشير بن محمد العدوي القرشي السوقي، رقم المخطوط: 9665.

5. كتاب الترجمان، محمد محمود بن الشيخ الأرواني، تنبكت، معهد أحمد بابا، مخطوط رقم 762.

6. من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، محمود محمد ددب التنبكتي الأرواني. الرباط: منشورات منظمة الإيسيسكو - 1432هـ/2011م،

7. Les manuscrits en langue sonrhay : cas de la bibliothèque Alpha Mahamane M'Barakou Shirfi Alpha, JAMANA : Revue culturelle Ben Tapha de Diré, Présenté par : Sane malienne, N°59, Mars 2018